هذا خلق الله

(٤)

فلينظُر الإنسان مِمَّ خُلِق

الدكتور

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى
1425هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

الإنسان خليفة الله في الأرض!!

أَنْصَتَ المصلّون إلى خَطيبِ المَسجدِ وهو يُلقي خُطْبةَ الجُمُعةِ ، وبدا عليهم التفاعلُ مع الموضوع ، والتأثّرُ به إلى حدِّ البكاءِ أحياناً .

وملخَّصُ الخطبة ما يلي :

إنّ هناك آياتٍ قرآنيةً تلخّصُ الحدَثَ وتوجزُه ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

ولتكريمِ الخالقِ للإنسانِ عدةُ أوجُهٍ ، منها : أنه سبحانه نَفَخَ فيه من رُوحِه ، مصداق ذلك قولُه تعالىٰ وهو يأمرُ الملائكةَ بالسجودِ لآدمَ عليه

السلامُ : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر : ٢٩] .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعله خليفته في الأرض ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى سَخَّرَ له كلَّ ما في هذا الكون ، ليكونَ له خادماً ، ويكون هو السيّدَ المطاعَ ، قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية : ١٣] .

لكن ـ أيها الأحبّة ـ مشكلةُ الإنسانِ أنه راحَ يبحثُ في هذا الكونِ ، ويفتّشُ ، حتى انشغلَ بهذا البحثِ إلى درجةٍ جعلتْهُ ينسى أنه أكرمُ المَخْلوقاتِ وأحسنُها ، وأصبحَ حالُه كما قال الشاعر :

وتَــزْعُــمُ أنّــكَ جِــرْمٌ صغيــرٌ

وفيــكَ انطــوى العــالَــمُ الأكبــرُ!

لكن القرآن الكريم ركّزَ على فكرةٍ رائعة ، مَفادُها أنّ خَلْقَ الإنسانِ وتكوينَه آيةٌ من آياتِ اللهِ سبحانَه كما هو حالُ خَلْقِ السمواتِ والأرضِ وكلِّ ما في هذا الكون ، قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

فهل فكّرَ الإنسانُ في تَسَلْسُلِ نَشْأَتِه وتطوُّرِه ؟ وهل تأمّلَ في تركيبِ جَسدِه ، وإتقان صُنعِ الله في نفسه ؟

* * *

تَسَلْسُلُ خَلْقِ الإنسان

ومن جَميلِ المصادفاتِ أن يكونَ موعدُ الندوةِ العلميةِ في مساء يومِ الجمعةِ ، وأن يكونَ محورُها يدورُ حولَ (معجزة خَلْق الإنسان)...

وكالعادة ، اجتمع أفرادُ أسرة (أبي محمد) حولَ جِهازِ التلفازِ ، وأصغَوا إلى المتحاورين في الندوة .

وفي البداية قَدَّمَ عريفُ الندوةِ الأساتذةَ المتحاورين ، وتَحدَّثَ باختصارٍ عن الشهاداتِ التي يَحملُها كلٌّ واحدٍ منهم ، وعن العمل المُوْكَلِ إليهم و...

هَمَسَتْ (وردةُ) في أُذنِ أختها (مريم) قائلةً :

في الندوةِ تشكيلةٌ رائعةٌ ، فهذا دكتورٌ في الفقه وأمورِ الشريعة ، والثاني طبيبٌ مختصٌّ بمجالاتِ التشريحِ والأجنّةِ ، والثالثُ مختصٌّ في طبِّ الأطفال .

... وأعقب ذلك قولُ عريفِ الندوة :

إنّ موضوعَنا اليوم هو من المواضيع الفضفاضةِ الواسعةِ ، وأتوقَّعُ أنه سيُفتَحُ علينا بابٌ واسع ، فالأسئلة والاستفساراتُ في هذا المَجالِ كثيرةٌ جداً ، ولذلك أرجو من الجميعِ الاختصارَ ما أَمْكَنَ...

... وافتتحَ الدكتور (يحيى) مُداخَلَتَه بقولِ الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ

نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

[المؤمنون : ١٢-١٤] .

فاللهُ سبحانه وتعالى جَعَلَ أَصْلَ الخَليقةِ واحداً ، ثم جَعَلَ قِسْماً من البشرِ ذُكوراً والقسمَ الآخَرَ إناثاً ، وشاءتْ حكمتُه ـ سبحانه ـ أن يكون التكاثرُ سبباً لبقاءِ النّوعِ.. ، قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل : ٧٢] .

... وتَوجَّهَ الدكتور الشيخُ نحوَ الأطباءِ وقال :

أما كيف يتكونُ الإنسانُ في بَطْنِ أمِّهِ... ؟ وكيف يتغذّى في تلكَ المرحلةِ... ؟ وما إلى هنالك ، فذاكَ

أمرٌ نسألُ عنه أهلَ الاختصاصِ ، كما علّمنا اللهُ في كتابِه العزيزِ :

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل : ٤٣] .

* * *

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنسانُ مِمَّ خُلِقَ ؟!﴾

واشترك في الحديث عن ذلك طبيبُ التشريحِ (مرعي) ، وطبيبُ الأطفالِ (أمين)...

فقال الدكتور (مرعي) : لقد أَثْبَتَ الطبُّ الحديثُ ، وعلْمُ التشريحِ... ما قرّرَه القرآنُ الكريم منذ مئاتِ السنوات ، وهو يتحدثُ عن خَلْق الإنسانِ...

أ ـ النّطفة : يَختصُّ بها الرجلُ ، حيث تنشأ من مِنْطَقَةِ الصَّدْرِ ، وهي ما يُعبّر عنه القرآن ﴿مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٧] .

وتلتقي النُّطْفَةُ مع بُوَيْضَةِ المرأةِ ، فتتلقَّحُ

البويضةُ ، وتبدأ عمليةُ التطوّرِ ، حيث تستمرُ العمليةُ مدةَ أسبوع ، لتتحوّلَ إلى مرحلةٍ ثانية وهي العَلَقَة .

... هزّ الدكتور (يحيى) رأسَه ، ثم استأذن بمداخَلةٍ قصيرةٍ ، قال فيها :

لقد صَدَقَ اللهُ عندما قال ـ وهو يذمُّ تكبُّرَ المتكبرين ـ فذكّرهم بأصلهم :

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾

[القيامة : ٣٦ـ٤٠] .

ب ـ العَلَقَة : وتابع الدكتور (مرعي) الحديثَ عن تَطوّرِ الخَلْقِ ، فقال :

ثم تتحوّلُ النطفةُ إلى قِطعةِ دمٍ مُتَجَمّدٍ ، وهي ما يُطلقُ عليها (العَلَقة) ، فتعلَقُ بجِدارِ رَحِمِ

المرأةِ ، وتستمرُ ما يُقارِبُ من أسبوعين..!

جـ ـ المُضْغَةُ : وفي الأسبوعِ الرابعِ تتحوّلُ العَلَقةُ إلى مُضْغَةٍ ، حيث يتكوّن في هذه المرحلةِ الجهازُ العصبيُّ للجَنين...

ثم تأتي مرحلةُ تَشَكُّلِ العِظامِ ، ثم إكسائها باللحْمِ... ، وحاول الدكتور (مرعي) أن يتذكَّرَ آيةً قرآنية تتحدثُ عن ذلك ، لكنّ الذاكرةَ لم تُسْعِفْه ، فاستنجَدَ بالدكتور (يحيى).. ، فما كان من الشيخِ الدكتور إلا أن قرأَ قولَ الله تعالى :

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

د ـ تابعَ الدكتورُ (سلطان) الحديثَ عن تَسَلْسُلِ أطوارِ الجَنينِ ، بقوله :

ثم تأتي مرحلةُ التصويرِ والتعديلِ ، كما قال

تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف : ١١] .

أي : تصويرُ الوجْهِ ، ثم السّمْعِ ، ثم البصر...

وقرأ الدكتور الشيخ قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٦-٨] .

هـ - وتابع الدكتور (سلطان) قوله : ثم تأتي مرحلةُ نَفْخِ الرُّوْحِ ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾

[الحجر : ٢٩] .

* * *

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّه وَهْناً على وَهْن﴾

... وهكذا قد وصلتْ إلى الندوة مئاتُ الاستفساراتِ.. والتساؤلاتِ.. فطرحَها عريفُ الندوةِ على المحاورين...

ومن أهمِّ تلكَ الاستفساراتِ :

سألتْ إحدى النساءِ هذا السؤالَ : هل تَدْرونَ كَمْ تُعاني الأمُّ من آلامٍ و... ، أثناء الحَمْلِ والوِلادة ؟!

يَضطربُ جهازُها الهضميُّ ، ويتعبُ قلبُها ، ويتغذّى الجَنينُ على حسابِ جِسمِها ، فتُصابُ بفقرِ الدمِ ، وتَلينُ عِظامُها ، و...!!

وكان تعليقُ الدكتور (يحيى) : وصَدَقَ اللهُ عندما قال : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان : ١٤] .

والتساؤلُ الثاني يدورُ حول كيفيةِ خروجِ الجَنينِ من بَطْنِ أمِّه ؟!

وكان جوابُ الدكتور (مرعي) : لولا مشيئةُ اللهِ وحكْمتُه ولُطْفُه... لماتتْ الأمُّ أثناء الولادةِ ، ولذلك فقدْ هيّأ لأجْلِ ذلك عَضَلاتٍ... وإفرازاتٍ وهُرْموناتٍ و... ، ليخرجَ الجنينُ من مكانٍ ضيِّقٍ...

وعلَّقَ الدكتور الشيخُ على ذلك بالقولِ : فواعجباً لمَنْ يُعانِدُ.. ويكابر.. ويقول : إنها الطبيعة.. إنها المصادفة... ، ولا يَنْسُبُ ذلك كلَّه للهِ وَحْدَه!!

ثم تلا قولَه تعالى ـ وهو يختِمُ الندوةَ ـ :

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾

[لقمان : ١١] .

والحمد لله رب العالمين

* * *